The Connotations of the Black Color in Arar's poetry in his collection " ashiyat of Wadi Al-Yabis

Dr. Zaheer Mohammed Al-Zawahra*
Dr. Amina Abdul Moulah Harahsha**
Dr. Sulaiman Salem Al-Farain***

(Received 23 / 9 / 2024. Accepted 31 / 10 / 2024)

□ ABSTRACT □

This research aims to study the connotations of the black color in Arar's poetry in his collection " ashiyat of Wadi Al-Yabis" as a model and field for this study, as the black color and its synonyms were mentioned frequently in his collection, and the research revealed the following titles: Connotations of the black color in Arar's poetry, color synonyms for the black color, the relationship between the black color and the eyes .The black color gave the poetic text a high artistic energy, elevated it from the usual simple connotations to multiple and valuable color connotations, and revealed the psychological, intellectual and cultural structures of the poet, and enriched the text semantically and artistically in the contexts in which it was employed.

Keywords: The black color, Arar Mustafa Wahbi Al-Tal, ashiyat of Wadi Al-Yabis.

Copyright **:**Tishreen University journal-Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

* **Language Center, Hashemite University, Jordan. Email: dr.thaher@hu.edu.jo**
****Language Center, Hashemite University, Jordan. Email: Amena_1976@yahoo.com**
*****Language Center, Hashemite University, Jordan. Email: s.ferain@hu.edu.jo**

دلالات اللون الأسود في شعر عرار في ديوانه عشيات وادي اليابس

د. ظاهر محمد الزواهرة*
د. أمينة عبد المولى حراحشة**
د. سليمان سالم الفرعين***

(تاريخ الإيداع 23 / 9 / 2024. قبل للنشر في 31 / 10 / 2024)

□ ملخّص □

هدف هذا البحث إلى دراسة دلالات اللون الأسود في شعر عرار في ديوانه "عشيات وادي اليابس" نموذجاً ومجالاً لهذه الدراسة، إذ ورد اللون الأسود ومرادفاته كثيراً في ديوانه، وقد استجلى البحث العنوانات التالية: دلالات اللون الأسود في شعر عرار، المرادفات اللونية للون الأسود، العلاقة بين اللون الأسود والعيون.

وقد منح اللون الأسود النص الشعري طاقة فنية عالية، سمت به من الدلالات البسيطة المعتادة إلى دلالات لونية متعددة وقيمة، وكشف البنى النفسية والفكرية والثقافية لدى الشاعر، واغنت النص دلالياً وفنياً في السياقات التي وظف فيها.

الكلمات المفتاحية: اللون الأسود، عرار مصطفى وهبي التل، عشيات واد اليابس.

حقوق النشر :مجلة جامعة تشرين- سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

* مركز اللغات، الجامعة الهاشمية، الأردن dr.thaher@hu.edu.jo
**مركز اللغات، الجامعة الهاشمية، الأردن Amena_1976@yahoo.com
***مركز اللغات، الجامعة الهاشمية، الأردن s.ferain@hu.edu.jo

مقدمة

تكتسب المفردة اللونية أهمية خاصة في النص الأدبي، فاللون" سرّ من أسرار الوجود... وإلا لما كان لون يُرى جميلا، ولون آخر متعبا وقاتما؟"[1] وتعد الألوان " من أغنى الرموز اللغوية التي توسع مدى الرؤيا في الصورة الشعرية، وتساعد على تشكيل أطرها المختلفة، بما تحمل من طاقات ايجابية وقوى دلالية، وبما تحدثه من إشارات حسية وانفعالات نفسية في المتلقي"[2]، و"إنّ لونًا باهتًا رماديًا قاتمًا يستدعي الرتابة والحزن، وأنّ لونا فاتحا ورديا يستدعي الفرح والرغبة دون معرفة الأسباب المنطقية لهذه الاستجابة، ويمكن القول إنّ لبعض الألوان الصارخة (أحمر، أزرق، أصفر، أسود، أبيض...) مفعولًا نفسيًا أكثر من الألوان غير الصارخة"[3]؛ لذلك كان اللون إحدى نواهض النص الشعري قديمًا وحديثًا، وشكّل جزءًا من الصورة الفنية القادرة على تجاوز المعاني المعجمية لمفرداتها من خلال الرمز والإيحاء والتكثيف، فاللون" إمّا أن يكون مثيرًا للعاطفة أو مهدئًا للنفس، ويظهر ذلك من خلال ما نفضل من ألوان، عندما نقوم بتزيين مسكننا أو اختيار ملبسنا"[4]، وقصده الشعراء وتوسعوا في توظيفه، حتى وصل الدكتور عز الدين إسماعيل إلى نتيجة مهمة مفادها: أن الشعر ينبت ويترعرع في أحضان الألوان، سواء أكانت منظورة، أم مستحضرة في الذهن، وهو بالنسبة للقارئ وسيلة لاستحضار هذه الأشكال والألوان في نسق خاص[5] يساعد على قراءة النص وإعادة إنتاجه وتجاوز الأطر المعجمية لمفرداته، وقد" بات موضوع الألوان من الموضوعات التي تفرد لها أبواب خاصة في مصنفات اللغويين المشهورين" [6].

دلالات اللون الأسود في شعر عرار

دلَّ على العديد من الألفاظ على اللون الأسود في اللغة، والتي أجمعت في الغالب على أنّه ضد الجمال، فهو لون الحزن والتشاؤم وسوء الحظ وكل ما يرتبط بذلك، ووصف تدرجه بـ "أسود وأسحم ثم جون وفاحم وحالك وحانك ثم حُلكوك وسُحكوك ودَجوجيّ ثم غِربيب وغُدافيٌ وخُداريّ"[7]، ويرتبط معه ارتباطًا شديدًا في حضوره ودلالته" الظلّ وسواد الليل والسُّخام: سواد القدر والسعدانة، واللوع: السواد الذي حول الثدي والتدسيم: السواد الذي يجعل على وجه الصبي كي لا تصيبه العين"[8]، وورد في لسان العرب، "السَّواد: نقيضُ البياض؛ سَوِدَ وَسادَ واسودَّ اسْوِداداً واسْوادّ اسْوِيداداً، وهو أَسودُ، والجمع سُودٌ وسُودانٌ. وسَوَّده: جعله أَسودَ، والأَمر منه اسْوادَدْ[9]، ويشير الأسود فيزيائيًا إلى فقدان

---

(1) حمدان، نذير، الضوء واللون في القرآن الكريم، الإعجاز الضوئي- اللوني، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 1422هـ-2002م، ص:29.

(2) شنوان، يونس، اللون في شعر ابن زيدون، جامعة اليرموك، منشورات جامعة اليرموك، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، إربد، ص: 5.

(3) ابن حُوَيلي، الأخضر مِيدنِي، الفيض الفني في سيميائية الألوان عند نزار قباني، (دراسة سيميائية/ لغوية في قصائد من "الأعمال الشعرية الكاملة")، مجلة جامعة دمشق، م21، ع3+4، 2005م، ص: 114.

(4) طالوا، محيي الدين، اللون علمًا وعملًا، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، ط3، 2000م، ص:5.

(5) انظر: إسماعيل، عز الدين، الشعر العربي المعاصر : قضاياه وظواهره الفنية، ط دار العودة، بيروت، الطبعة الثالثة،1981م، ص: 121-130.

(6) الخويسكي، زين، معجم الألوان في اللغة والأدب والعلم، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1992م، ص: ك.

(7) الثعالبي، فقه اللغة، ص: 118

(8) المرجع نفسه، ص: 119.

(9) ابن منظور: لسان العرب، مادة(سود).

اللون[10]، لكنه في منظور كثير من الثقافات دال على التشاؤم؛ لهذا عبّر الشعراء بهذا اللون عن المعاناة وكل ما هو سلبي، كالآلام، والعذاب، عندما ضعفت الأمة العربية وأصبحت تئن تحت وطأة الاحتلال الغربي، مما ولد التشاؤم، والنظرة السوداوية[11]، وعلى الرغم من ذلك فهو لون محبب في الشَّعر والعين واللثة والشفاه، وهذه صفات تغنى بها الشعراء كثيرا منذ العصر الجاهلي، فاللون" لا يستقر على حالة واحدة، لو أخذنا مثلًا اللون الأسود، لوجدناه في الحقيقة يرمز إلى أمور مختلفة، أي أنّه يتغير وفق الظروف المكانية والزمانية"[12].

وشكّل اللون الأسود ومرادفاته اللونية مصدرًا دلاليّا للتعبير عن المعاني الإضافيّة وراء المعاني المعجمية في شعر عرار، فكان محبب للنفس حينا، وبغيض لها حينا آخر حسب موطنه وسياقه الذي وردَ فيه، يقول عرار واصفا محبوبته في قصيدة بعنوان (هوى الأربعين):

"وعيونك السوداء تنظر خلسة وتشع سحرًا من وراء حجاب"[13]

يربط الشاعر هنا بين العيون واللون الأسود،" فوصفت العيون بالسود، وإذا كانت العيون موطن الجمال والإبصار، والاستشراق والتأمل والاتساع، فإنّ العيون السود قد أخذت دلالات متغيرة، وارتباط السواد بالعيون منحها مسحة جمالية؛ ولذلك تغنّى بها الشعراء كثيرا"[14] وهذا يمنحها الجمال، ويمدها بالقدرة على الفعل، فتأثيرهما يشمل كيان الشاعر بشكل كامل، فيفقد قدرته على التركيز أو التصرّف ويصبح كالمسحور أسيرًا لجمالها وفاقدًا للقدرة على مقاومته؛ لذلك يقف تائهًا عاجزًا عن وصف سرّ مشاعره الفياضة التي تعتريه من أثر ما يحسه في عيون حبيبته فيصفه بالسحر، وهذا يُعمق الإحساس بحب الشاعر للون الأسود في العيون؛ واستخدمه رمزًا لجمالها، فهذه" العيون السوداء ستعطي الشاعر أملًا بالحياة، وتعيد صباه الذي ولّى، فلا مخرج من الأربعين بقضها وقضيضها إلا هذه العيون السوداء التي يتغزل بها، ولها القدرة على إشعال الحب والوجد في قلب الشاعر"[15] وفي موطن آخر يقول:

" وبأن هذا القلب عاثَ بأمنه عينان _ واقلباه سوداوانِ"[16]

فتأثير العينين السوداوين يمتلك على الشاعر قلبه الذي كان يعيش آمنًا مطمئنًا قبل أن يراهما، وعند رؤيتهما فقد ذلك؛ ليحيا السهر والوجد والأرق والشوق لمن يحبّ، فيحاول بذلك إبراز جمال عينيها ووصف أثرهما في نفسه، والتأثير في نفس المتلقي من خلال ما يُوجده من حيوية وعاطفة صادقة على مستوى النص الشعري، وهو منجذب دومًا إلى العيون ولونها الأسود، وتظهر صفة اللون وطبيعته مرتبطتين بحضور ذهنه واهتمامه بوسيلة النظر في المرأة، وأكثر ما يلفت نظر المحب، وأشدها تأثرًا وتأثيرًا في نفسيته؛ لذلك تكرّر هذا الاستخدام في أكثر من موضع.

(10) ينظر فليب سيرنج ، الرموز في الفن – الأديان الحياة ، ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق ، سوريا، 1992، ط1، ص: 420.

(11) ينظر خيتي، محمود عمر: التطور الدلالي في الشعر العربي السوري حديثه ومعاصره، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، إعداد: إشراف مازن الوعر، 1986.ص: 345– .و ينظر دراغمه ، مريم، ألفاظ الألوان في اللغة، ص:75 .

(12) الصحناوي، هدى، فضاءات اللون في الشعر، الشعر السوري نموذجا، دار الحصاد، سورية، دمشق، ط1، 2003م، ص:12.

(13) التل، مصطفى وهبي، عشيات وادي اليابس، د. ت. د. زياد الزعبي، وزارة الثقافة، عمان، المملكة الأردنية، د. ط، ص: 128.

(14) الزواهرة، ظاهر محمد، اللون ودلالته في الشعر: الشعر الأردني أنموذجا، دار الحامد، عمان، المملكة الأردنية، ط1، 2008م، ص:95 .

(15) الزواهرة، ظاهر محمد، اللون ودلالته في الشعر، مرجع سابق، ص:95.

(16) التل، مصطفى وهبي، مرجع سابق، ص: 355.

وقد يجمع الشاعر بين لونين سعيًا لإظهار جمال العينين وتكريس الصفة الجمالية للمرأة، فيقول:

"إني، وإن كنت حرًا ذا محافظة عبدُ العيون التي في شكلها دُعجُ"[17]

والأعين الدُعجُ هي العيون التي تجمع بين شدة البياض وشدة السواد، وهي صفة مشبهة تدل على الثبوت والديمومة من الفعل دعج، فالثنائية الضدية في اللونين أثر جمالي، فالضد يظهر حسنه الضد، وقد" جمع الشعراء بين اللونين الأسود والأبيض، وكان توظيفهم لهذين اللونين معًا لبيان الفارق والتناقض، واللونان الأسود والأبيض متناقضان، يبرز أحدهما من خلال الآخروإن كان التوظيف يحمل طابعا جماليا، إلا أنّ للفكر والاختيار دلالته وغايته، من سمو لون على لون، إو إحداث المساواة بينهما"[18] .

أمّا الشفاه، فالسمار أو المائل إلى السواد لون محبب فيهن لدى كثير من الشعراء، فذكروه في أشعارهم، ويعرف باللمى ووصفوه بالحسن، وساهم في تشكيل صورهم الفنية، ورسم صورة المرأة المثال، فقال عرار:

"يا شيخ ما العلم؟ حسب المرءِ معرفة أنّ الشفاهَ بوادي السير لمياءُ"[19]

فالشاعر يكفيه من العلم والمعرفة أنه يعرف سرّ جمال المرأة ومَكمنه، وهو لون الشفاه المائل إلى السواد، ونلاحظ هنا أن الشاعر يمزج بين المرأة والمكان موطن الخصب والخير دون تحديد، وإنما على الإطلاق.

والسواد صفة جمالية محببة لدى الشعراء في الشَّعر عموما، ولدى الرجل والمرأة على حدٍ سواء؛ لأنه يرمز للشباب والقوة والحيوية، فيقول:

"وسوادُ شَعركِ حُدَّ من غلوائه ومشى المشيبُ إليّ قبل أوانه"[20]

فحيوية شعرها وسواده وقوته وشبابها قلل منه وحدّ من نشاطه ظهور الشيب والتقدم في العمر الذي يتطلب التخلي عن حياة الدعة والسعي وراء المتعة والاستعداد إلى الحياة الأخرى وقرب الرحيل، فاللون الأسود هنا رمز للشباب والحياة والحيوية والنشاط في حين يظهر الأبيض لون الشيب والضعف والتقدم في العمر والقرب من النهاية، وقد يحضر اللون الأسود دون ذكره بشكل مباشر، كقوله:

"واليوم قد عاثَ المشيب بمفرقي وتحكمت أضواؤهُ بظلامي"[21]

ويظهر البيت مدى إدراك الشاعر لأهمية اللون في التعبير عن رؤياه، والعلاقة التي تربط اللون الأبيض بالضياء، واللون الأسود بالظلام، فالشيب أبيض اللون، وظهوره محكوم بزوال اللون الأسود، وكلما اتسعت رقعة الشيب في شعر الرأس انحسرت المساحة التي يغطيها الشعر الأسود؛ لذلك ينعى عرار شبابه ويودعه بعد أن تقدم به العمر، وانتشر الشيب في شعر رأسه وغلب لونه الأبيض (تحكمت أضواؤه) على لون شعره شديد السواد(بظلامي)، وكأنه يشير إلى النهاية التي يجب أن يستعدّ لها، فالأسود هنا لون الحياة والشباب، في حين جاء اللون الأبيض رمزًا للحزن والموت والنهاية التي تقترب" والشاعر يجعل اللون الأبيض دلالة رمزية لفناء كلّ الألوان في الحياة والوجود"[22]؛ لذلك ينعى الشاعر شبابه ويُشعرنا بقرب نهايته، فيقول:

---

[17] المرجع نفسه، ص: 146.

[18] الزواهرة، ظاهر محمد، اللون ودلالته في الشعر، مرجع سابق، ص:113.

[19] التل، مصطفى وهبي، مرجع سابق، ص: 100.

[20] المرجع نفسه، ص: 402.

[21] المرجع نفسه، ص: 319.

(22) الزواهرة، ظاهر محمد، اللون ودلالته في الشعر، مرجع سابق، ص:87.

" اطوِ الصحيفة واتئد بعتابي ودع المشيب إليك ينعَ شبابي "[23]

فصحيفة الإنسان تُطوى بعد موته ونهايته؛ لأنه يعجز عن الفعل، وعندما يتقدم به العمر يقل صبره وقدرته على التحمل؛ لذلك يطلب التمهل والصبر في عتابه ولومه، فزوال شعره الأسود وظهور الشيب ببياضه دليل صادق على رحيل الشباب بقوته وعنفوانه؛ فقد عبّر بالفعل (ينعَ) ليدل على أهمية الشباب وأن رحيله مقدمة للرحيل الأبدي الذي لا عودة بعده، ويحن إلى أيام شبابه وقوته ويتمنى العودة إليها:

" سُقيًا لعهدكِ والشبابُ قشيبةٌ أثوابه، وأنا بك المفتونُ

وذوائبي لم تشتعل شيبًا ولم تزحف عليَّ وقد كبرت غضون "[24]

حضور طاغٍ للون الأسود دون ذكره بشكل مباشر، فهو لون الشباب والجمال والقوة والحيوية والتمتع بملاذ الحياة المختلفة، أيام كانت ذوائبه سودًا قبل أن يغزوها الشيب بلونه الأبيض فيصبه الكبر، ويفقده القدرة على الفعل، ويتغضن جلده نتيجة تقدمه في العمر فيفقد جماله وحيويّته.

وقد يرمز الأسود للحزن والألم واليأس والخوف من المجهول والفناء والشعور بالضياع والعدميّة والتشاؤم، وقد كان العرب يتشاءمون حتى من مجرد النطق بهذا اللون أو أحد مشتقاته[25]، وكان لهم أيام وحروب، "فكانت عبارة يوم أسود كناية عن التشاؤم به وتوقع الشر"[26] وارتبط باللّيل بكلّ ما يحمله من رهبة وخيالات مرعبة، وإحساس بالعدميّة والضّعف، فيصف عرار حياته بقوله:

" وهي أحيانًا ظلامٌ دامسٌ لا أرى أنى لهُ يطلعُ صبحُ "[27]

فحياته ظلامٌ ووصفه بأنه دامسٌ رمزًا وتكثيفا للون الأسود ودلالاته على ظلمة اليأس في نفس الشاعر وشدته إلى درجة القنوط من حدوث التغيير؛ لذلك لم يكتفِ بالظلام، وإنما جعله شديد السواد تعبيرًا عن حالة اليأس والشعور بالضياع والعدمية التي أصابت الشاعر فجعلته يفقد الأمل ويقنط من الخلاص، أمّا عمره فيقول فيه:

" إنّ هذا العمرَ ليلٌ ما لهُ يا أخي في غير أفق الكأس صبحُ "[28]

وللون الأسود ارتباط شديد "بالظلام والليل وبهما تحجب الحقيقة وتنعدم الرؤية، مما يؤدي إلى الأوهام والتهيؤات على عكس النور الذي يرمز له باللون الأبيض"[29]، فواقع الشاعر مؤلم مليء بالأحزان والهموم والمعاناة؛ لذلك جعل عمره ليل أسود مظلم بسبب كثرة همومه وأحزانه، ولا يجد الخلاص إلا من خلال معاقرة الخمر والاعتكاف على شربها هربًا من هذا الواقع، وعندما يجانبه الحظ يقول:

" يا مي! ما ذنبي إذا دهري عتا وسوادُ حظي لجّ في طغيانه "[30]

---

(23) التل، مصطفى وهبي، مرجع سابق، ص :126.

(24) المرجع نفسه، ص: 328.

(25) عمر، أحمد مختار، اللغة واللون، 201.

(26) الثعالبي، فقه اللغة، ص: 120.

(27) التل، مصطفى وهبي، مرجع سابق، ص: 163.

(28) المرجع نفسه، ص: 157.

(29) رياض، عبد الفتاح: التكوين في الفنون التشكيلة، ط2، القاهرة دار النهضة العربية، 1983، ص:260

(30) التل، مصطفى وهبي، مرجع سابق، ص: 402.

يحاول الشاعر أن يبرر لمحبوبته عدم توفيقه وما يتعرض له من ظلم وتهميش، فالذنب ليس ذنبه وإنما ذنب هذا الزمان الذي استكبر وظلم وجاوز الحد في ظلمه له، وحظه الأسود تمادى في العناد وتجاوز الحد المعقول في استبداده، وقد استخدم الشاعر اللون الأسود ليرمز إلى عدم التوفيق وما يتعرض له في حياته، وطموحاته وأحلامه تتحول إلى رماد؛ وهو ما ينتج عن احتراق أي مادة عضوية احتراقاً تاماً، وهو نهاية كل شيء إذ يصبح غير قابل للاحتراق أو العودة إلى الحياة مرة أخرى، وبسبب حالة اليأس الشديد والشعور بالعدمية المسيطرة على الشاعر فقد اختار_الرماد بلونه الأسود للتعبير عنها، وهو هنا يجمع بين خفة الرماد وقابليته للطيران مع الرياح ولونه الأسود، فيقول:

"وما من طموحي وأحلام روحي بكفيَّ إلا رمادُ الرمادُ"[31]

ويمتد اللون الأسود ليعبر من خلاله الشاعر عمّا لحق بوطنه من ظلم وانتشار الجهل والجوع، فيقول:

" وبياض النهار ما زال منه حظُّنا كانَ يا تعيسُ سوادُ "[32]

يعبر الشاعر باللون الأسود عن المعاناة وكل ما هو سلبي، كالآلام، والعذاب، والظلم، وغياب الحرية، وانتشار الجهل، مما ولد التشاؤم، والنظرة السوداوية إلى كلّ ما يحيطه، فالشاعر " يبحث وصديقه الهبر وسط قسمة زمانية، لم يكن حظهما إلّا التعاسة والحزن والقهر (الممثل بالسواد)، ولذلك كان ينادي صديقه (بالتعيس) "[33]، في حين كان حظ غيرهم السعة والفرح والسعادة، والمتمثل بالبياض، والملاحظ في هذا البيت " سهولة المفردات اللغوية المستخدمة وتناسقها مع طبيعة الموضوع" حبّ الوطن" التي يمكن تسميتها بالواقعية اللغوية، وتعني الشائع المتداول في توليد الدلالة"[34] .

وكان للفوارق الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع ارتباط بظاهرة اللون وما كان يعانيه الملونون في مجتمعاتهم،" وانحياز العربي إلى اللون لون البياض باعتباره صفة الإنسان الأفضل أدّى إلى اتّخاذ موقف ذي مردود سيء تجاه اللون الأسود"[35] ، وما زالت تلك الظاهرة موجودة في بعض المجتمعات، على الرغم من القوانين العصرية، إلا أن الإحساس بهذه القضية ما يزال موجودًا، فقد كان أغلب العبيد من السود، حتى أن بعض الدراسات والبحوث كانت تخصهم بشيء من اهتماماتها؛ إذ شكل تواجدهم ظاهرة من ظواهر الأدب تستحق الوقوف عندها وتأملها[36]، ليضاف إلى دلالات اللون الأسود عند عرار دلالة المصائب والشدئد، والمهانة والطبقية والفروق الاجتماعية، فيقول:

" مصائب الدهر أنواع منوعة" وشرها أن تسود " الست" سوداءُ"[37]

هذا البيت من نص يتحدث عن انتشار الجهل والتخلف والفساد، وإسناد الوظائف والمناصب القيادية إلى غير أهلها، فالشدائد والمصائب التي تصيب الوطن والإنسان كثيرة ومتنوعة ولكنّ أكبرها وأكثرها شدة هي أن تسود المرأة السوداء كناية عن توسيد الأمر لغير أهله، " فمن المفارقات الساخرة، أن يتولى تصريف الأمور أشدُّ الناس جهلًا، وأن يتخلى

---

(31) المرجع نفسه، ص: 195.

(32) المرجع نفسه، ص: 182.

(33) الزواهرة، ظاهر محمد، مرجع سابق، ص: 113.

(34) الطالب، هايل، التشكيلات الدلالية للألوان في النص الشعري عند نزار قباني: اللونان الأحمر والأخضر نموذجًا، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد 87، مجلس النشر العلمي جامعة الكويت، صيف2004م، السنة الثتنية والعشرون، ص:192.

(35) انظر: الصحناوي، هدى، فضاءات اللون في الشعر، مرجع سابق، ص: 21.

(36) زغريت، خالد: جماليات تأثير اللون في شعر الأغربة الجاهليين، رسالة جامعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة البعث، حمص، 2005، ص 47.

(37) التل، مصطفى وهبي، مرجع سابق، ص: 101.

العارفون بشؤونها أو يُبعدوا عن إدارة أحوالها وناسها، لقد أعطى هذا الحق المقلوب للعبدة سيادة على سيّدتها"[38]، ويظهر من خلال ذلك النظرة الدونية والتقليل من شأن المرأة صاحبة البشرة السوداء.

ويسأل الشاعر أخت رم عن أيام إقامتهم في جبال رم؛ أيام الأمن والأمان والدعة والرخاء وتوفر الربيع وما تأكله الماشية، ثم كيف تبدل الحال وخلت مراعيهم من ماشيتهم وإبلهم ومظاهر الحياة المختلفة، فيقو:

" ومراحكم لمَ أنكرتهُ معاطن الإبل المرية

وجفته حيهلة الإما ءِ وهسة العبدِ الونية"[39]

نلاحظ في البيت الثاني اختفاء قول الإماء(حي هلا)، والإماء جمع أمة وهي المرأة الجارية المملوكة، كما اختفت أصوات العبيد (هسة العبد الونية) من قولهم للغنم (هس هس) وهو اسم من أسماء الأصوات، وفي البيت إشارة إلى النظام الاجتماعي الذي كان يسود القبائل العربية في ذلك الوقت، والذي تتكون فيه الطبقة العاملة في الغالب من الجواري، والرعاة، والعبيد، وتظهر النظرة الدونية للعبد صاحب البشرة السوداء بشكل كبير عندما يقول الشاعر في معرض تحريضه لقومه على الدفاع عن الوطن:

" فالعبد يقرعُ بالعصا والحر تكفيه القرينة

والليث ملك في السّبا عِ لأنَّه يحمي عرينه "[(40)]

إنها النظرة الدونية إلى العبد صاحب البشرة السوداء، وكيفية التعامل معه، أضف إلى ذلك الكشف عن النظام الاجتماعي القائم الذي يعبر عنه الشاعر.

ويوظف عرار المرادفة اللونية كلمة (الظلّ)؛ إذ يقول:

في غير وادي الشتا في غير أرْبعُه ماتورف الظل للأشواق أفياء[()]41

وجاء الظلّ كمرادف لوني بدلالة إيجابية، و" الظلّ يعطي معاني محتلفة: الليل والظلام والسواد والمعاناة... ، ويختلف معناه وفق السياق الذي يأتي به، فيعني الخير والبرودة من الحر عند الشعراء القدماء"[(42)]، والظلّ عند عرار في هذا البيت يدل على البرودة التي تقابل الحر، هذا على صعيد الزمن الذي يدل على وجود الشمس، وارتفاع درجات الحرارة، أمّا على صعيد المكان فالظلّ ممتد مع المكان/ وادي الشتا، و" هو واد في جنوب عمان يرد كثيرا في شعر عرار، وله فيه ذكريات" [(43)].

ونرى مدى ارتباط الظلّ/ البرودة والخير بالمكان، وهو موطن العشق والذكريات والأحلام، وما فيها من آمال، وكأنّ الشاعر يحصر الظلّ في وادي الشتا لا في سواه، والأحلام والآمال فيه، وغيره من الأمكنة لا ظلّ ولا خير ولا برود، ولا أحلام ولا آمال، إنما الشمس والحرارة والحزن والألم، فالظلّ/ السواد يغطّي لونا متضمنا في وجود الشمس، وهو مرادة لونية آخرى، الشمس/ الإصفرار، وهذا منسجم مع الدلالة العامة التي أرادها عرار، فالظلّ/ البرودة والخير يمحو الإصفرار بالذبول وهو الموت، وكأنّ الظلّ حياة وبقاء.

(38) الرباعي، عبد القادر، عرار الرؤيا الفنية، ط1، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، المملكة الأردنية، 2002م، ص: 170.

(39) التل، مصطفى وهبي، مرجع سابق، ص: 438 – 439.

(40) المرجع نفسه، ص: 410.

(41) المرجع نفسه، ص: 109.

[(42)] الزواهرة، ظاهر محمد، مرجع سابق، ص: 141.

[(43)] التل، مصطفى وهبي، مرجع سابق، ص:109.

ويوظف عرار اللون الأسود مقابلا للون الأبيض، إذ جمع بينهما في قوله:

وبياض النهار ما زال منه حظنا كان يا تعيس سوادُ
لا تخف ظلمة القبور ففيها يتساوى الأفذاذ والأوغادُ[44]

والجمع بين لونين في سياق واحد إنما دليل على أهمية اللونين معا، وبيان جمالية التوظيف اللوني والمقارنة بينهما، فقد" جمع الشعراء بين اللونين الأسود والأبيض، وكان توظيفهم لهذين اللونين مع بيان الفارق والتناقض، واللونان الأسود والأبيض متناقضان، يبرز أحدهما من خلال الآخر" [45].

ويعكس عرار واقعا يعيشه مع صديقه الهبر، وهو حظهما من الحياة مقارنة بغيرهما، وإن جاء توظيف اللون بدلالة جمالية، إذ يمثل اللون الأسود في شعر عرار ثنائية رمزية؛ فهو لون الألم واليأس، وفي الوقت ذاته رمز للسحر والجمال عند الحديث عن العيون، ويعكس هذا التناقض منظور الشاعر العميق واستخدامه للون الأسود كوسيلة لنقل مشاعر متباينة متأثرة بالسياق الشعري المحدد؛ فالبياض إلى جانب السواد يفضي إلى غاية مهمة أراد الشاعر إبرازها، وهي علو لون على لون، فإذا كان البياض بدلالة حياة الرفاهية والسعادة والخير والفرح، وهو نصيب الكثيرين إلا أن نصيب عرار وصديقه(الهبر) هو السواد المتمثل بالحزن والقهر والتعاسة؛ ولذلك كان خطابه لصديقه بـ (التعيس)، والتعاسة مستمدة من اللون الأسود الذي جعله عرار سائدا ممتدا (مازال).

إنّ اللون الأسود بمعناه السلبي يمتد ويغلب اللون الأبيض الذي يفترض أن يكون بمساحة واسعة للجميع، إلا أن تفرقة وظلما يشعر بها الشاعر جعلته لناس دونه وصديقه، وربما هي إشارة رمزية إلى السود الذين اضطهدوا وسلبت حقوقهم، ويشعرون دوما بالذّل والقهر أمام البيض، ومن هنا كان عرار على إدراك بهذا الظلم والقهر؛ فخاطب صديقه أنّ النهاية عدل وميزان، والمراد بعد الموت (في القبور)، وهذا أيضا يعني قمة التعاسة حينما لا يدرك المرء سعادة ولا حقا وهو على وجه الأرض.

ويعود عرار إلى توظيف المرادف اللوني في البيت نفسه بدلاة الكلمة (ظلمة)، والظلمة هي السواد، وجعل دلالتها مرتبطة بفعل أهل البياض وظلمهم وقهرهم، وكأنّ ظلمة القبور بسوادها وعتمتها هي الميزان والإنصاف، ففي العتمة لا يظهر أحد، بمعنى لا يظهر غني أو فقير، وظالم أو مظلوم، فالكل متساوون في العتمة، وهذا ما يريده عرار لإنصاف نفسه وصديقه (الهبر) من الظلم والقهر.

وجاء توظيف عرار للون الأسود بدلالة جمالية خالصة كما في قوله:

وانعم علي بكاس من مراشفها فالمجد للوجد لا للأعين السود [46]

فالعيون السود دلالة جمالية في وجه المرأة، وهي مقصد الشعراء في ذكر جمال المرأة، ولكن المفارقة تبدو هنا من ربط العيون السود بالخمر؛ إذ تكتسب جمالها من اقترانها بالخمر، بل إنّ عرارا يقدّم الخمر عليها، ويرجع عبد القادر الرباعي ذلك إلى" أنّ مقياس الشاعر الخاص والنفسي يجعل عيون المرأة وعيون السكارى سواء، فهم يعانون مثله، ولذلك فهم يحققون الراحة المنشودة، وهو ما يبتغيه الشاعر من عيون المرأة الجميلة" [47].

---

[44] **المرجع نفسه، ص: 200-201.**

[45] **الزواهرة، ظاهر محمد، مرجع سابق، ص: 113.**

[46] **التل، مصطفى وهبي، مرجع سابق، ص:208.**

[47] **الرباعي، عبدالقادر، عرار الرؤيا والفن، ط1، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، 2002م، ص: 119.**

والملاحظ هنا أن عرارا يسلب جمالية العيون السود لصالح الخمر، وكأنّه يريد أن يرسل رسالة عميقة الإحساس بالظلم؛ إذ لا يبدو لدي شيء جميل، حتى العيون السود أمام واقع مليء بالقهر والظلم والحزن، ويصبح المجد والسعادة في كأس من الخمر وكفى.

وفي سياق آخر يربط عرار العيون باللون الأسود في توظيفه للون الأسود، فيقول:

وعيونك السوداء تنظر خلسة وتشع سحراً من وراء حجاب [48]

وإذ كانت العيون موطن الجمال فإنّ السواد يمنحها مساحة جمالية أخرة، وتكاد تكون جملة (العيون السود) حاضرة عند كثير من الشعراء عامة والأردنيين خاصة، " فتكاد تكون العيون السود رمزا عاما لدى الشعراء الأردنيين، خاصة عند عرار وحيدر محمود، فتركيب (العيون السود) تكرر عند عرار ثماني مرات" [49]، و"اللون يصبح رمزا إذا صار تعبيرا يوحي بمعنى أو بمعان متفق عليها في ذاكرة المجتمعات البشرية لغة وثقافة ودينا وتراثا" [50].

وهذه العيون السوداء العرارية تمنح الشاعر الأمل بالحياة، وتجدد له الشباب الذي ولّى؛ إذ يتغزل بها، وهي التي تملك قدرة فائقة في إذكاء نار الحبّ والوجد في قلبه، وكأنّ عرارا يجد في هذه العيون الملاذ في بث همومه ومشاعره، وما يحسّ به في قلبه، إذ تمنح العيون السود دلالة جمالية وإحساسا مرهفا، فهي تنظر خلسة، والنظر خلسة يدل على منزلتها وترفعها، وهي التي (تشعّ سحرا)، فالعيون السود ذات فاعلية وتأثير كبير، وهي التي تملك؛ ولذلك جاءت فاعلا على مستوى التركيب النحوي للجمل الموظفة في البيت الشعري (تنظر + تشعّ)، كما جعلها الشاعر على مستوى الجمع؛ ليدل على اتساعها وتعددها، وهي المساحات التي يبحث عنها عرار للخروج من ضيقه وانفراده ، وبما يعاني بوحدته من الظلم والقهر.

الخاتمة

يتبين لنا أنّ اللون الأسود ورد بكثرة في شعر عرار مصطفى وهبي التل، ولم يكن وروده مسألة هامشية، بل كان مقصودًا، ويحمل وجوجده دلالات متعددة، وقد خدم النص الشعري من خلال السياقات التي وظّف بها الشاعر اللون، كما أنّ للون سمة ظاهرة في شعر عرار على وجه العموم، وربما يعود هذا إلى المعاناة والظلم والعذاب، وغياب الحرية؛ إذ سيطرت النظرة السوداوية على كل ما يحيط به.

يظهر اللون الأسود عند عرار برمزية تجمع بين معاني الحزن والتشاؤم من جهة، والجمال والسحر من جهة أخرى، ويؤثر بعمق في سياقات شعرية عديدة، لا سيما عند اقترانه بوصف العيون (العيون السود/ العيون السوداء) مما يبرز جاذبيتها وتأثيرها في النفس، ولأنّها موطن الجمال وتلفت المحب؛ لما تتركه من أثر في النفس.

ويتضح لنا أيضا أن عرارا يجمع بين لونين سعيا لإظهار الجمال، كما في وصف (دُعج)، وهي العيون التي تجمع بين شدّة البياض وشدّة السواد، كما وظّف عرار المرادفات اللونية في شعره كالظّل والليل والنهار.

[48] التل، مصطفى وهبي، مرجع سابق، ص:141.

[49] الزواهرة، ظاهر محمد، مرجع سابق، ص: 95.

(50).شنوان، يونس، اللون في شعر ابن زيدون، ص: 75.

قائمة المصادر والمراجع

1- إسماعيل، عز الدين، الشعر العربي المعاصر: قضاياه وظواهره الفنية، ط دار العودة، بيروت، الطبعة الثالثة،1981م.

2- ابن حُوَيلي، الأخضر مِيدني، الفيض الفني في سيميائية الألوان عند نزار قباني، (دراسة سيميائية/ لغوية في قصائد من "الأعمال الشعرية الكاملة")، مجلة جامعة دمشق، م21، ع3+4، 2005م.

3- التل، مصطفى وهبي، عشيات وادي اليابس، د. ت. د. زياد الزعبي، وزارة الثقافة، عمان، المملكة الأردنية، د. ط.

4- حمدان، نذير، الضوء واللون في القرآن الكريم، الإعجاز الضوئي- اللوني، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 1422هـ-2002م.

5- الخويسكي، زين، معجم الألوان في اللغة والأدب والعلم، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1992م.

6- خيتي، محمود عمر: التطور الدلالي في الشعر العربي السوري حديثه ومعاصره، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، إعداد: إشراف مازن الوعر، 1986.ص: 345- .و ينظر دراغمه ، مريم، ألفاظ الألوان في اللغة.

7- الرباعي، عبد القادر، عرار الرؤيا الفنية، ط1، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، المملكة الأردنية، 2002م.

8- الرباعي، عبدالقادر، عرار الرؤيا والفن، ط1، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، 2002م.

9- رياض، عبد الفتاح: التكوين في الفنون التشكيلة، ط2، القاهرة دار النهضة العربية، 1983.

10- زغريت، خالد: جماليات تأثير اللون في شعر الأغربة الجاهليين، رسالة جامعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة البعث، حمص، 2005.

11- الزواهرة، ظاهر محمد، اللون ودلالته في الشعر: الشعر الأردني أنموذجا، دار الحامد، عمان، المملكة الأردنية.

12- شنوان، يونس، اللون في شعر ابن زيدون، جامعة اليرموك، منشورات جامعة اليرموك، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، إربد.

13- الصحناوي، هدى، فضاءات اللون في الشعر، الشعر السوري نموذجا، دار الحصاد، سورية، دمشق، ط1، 2003مز

14- الطالب، هايل، التشكيلات الدلالية للألوان في النص الشعري عند نزار قباني: اللونان الأحمر والأخضر نموذجًا، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد 87، مجلس النشر العلمي جامعة الكويت، صيف2004م، السنة الثتنية والعشرون.

15- طالوا، محيي الدين، اللون علمًا وعملًا، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، ط3، 2000م.

16- فليب سيرنج ، الرموز في الفن – الأديان الحياة ، ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق، سوريا، 1992، ط1.

قائمة المصادر والمراجع مترجمة إلى اللغة الإنجليزية

1. Ismail AZ. Contemporary Arabic Poetry: Its Issues and Artistic Phenomena. 3rd ed. Beirut: Dar Al-Awda; 1981.

2. Ibn Huwaili A. The Artistic Flow in the Semiotics of Colors in Nizar Qabbani. A semiotic/linguistic study of poems from "The Complete Poetical Works." Damascus University Journal. 2005;21(3-4).

3. Al-Tall M. Ashiyat Wadi Al-Yabis. Edited by Ziad Al-Zoubi. Amman: Ministry of Culture; [no date].

4. Hamdan N. Light and Color in the Holy Quran: Optical and Color Miracles. 1st ed. Damascus: Dar Ibn Kathir; 2002. (1422 AH).

5. Al-Khwaiski Z. Dictionary of Colors in Language, Literature, and Science. 1st ed. Beirut: Lebanon Library; 1992.
6. Kheiti M. The Semantic Development in Modern and Contemporary Syrian Arabic Poetry. Master's Thesis. Damascus University; supervised by Mazen Al-Waer; 1986:345. See also Draghmeh M. Color Terms in Language.
7. Al-Ruba'i A. Artistic Vision of Arar. 1st ed. Amman: Azminah for Publishing and Distribution; 2002.
8. Al-Ruba'i A. Arar's Vision and Art. 1st ed. Amman: Azminah for Publishing and Distribution; 2002.
9. Riyad A. Composition in Plastic Arts. 2nd ed. Cairo: Dar Al-Nahda Al-Arabiya; 1983.
10. Zghrit K. The Aesthetics of Color Influence in the Poetry of Pre-Islamic Poets. University Thesis. Faculty of Arts and Humanities. Al-Baath University; Homs; 2005.
11. Al-Zawahra ZM. Color and Its Connotation in Poetry: The Jordanian Poetic Model. Amman: Dar Al-Hamid; [no date].
12. Shanwan Y. Color in the Poetry of Ibn Zaydun. Irbid: Yarmouk University Publications; Deanship of Scientific Research and Graduate Studies; [no date].
13. Al-Sahnawi H. The Spaces of Color in Poetry: The Syrian Poetry Model. 1st ed. Damascus: Dar Al-Hassad; 2003.
14. Al-Taleb H. The Semantic Structures of Colors in the Poetic Text of Nizar Qabbani: Red and Green as a Case Study. Journal of Arab Humanities. 2004;22(87):[page range].
15. Talou M. Color as Knowledge and Action. 3rd ed. Damascus: Dar Damascus for Printing, Publishing, and Distribution; 2000.
16. Siring F. Symbols in Art – Religions of Life. Translated by Abdul Hadi Abbas. 1st ed. Damascus: [Publisher]; 1992.